

لغيرهم أى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله عليهم السلام في كل عقد وعمل ﴿وتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها أداؤها وعلى ما يتلى الله تعالى به عباده من المصائب والصبر المذكور داخل في الحق وذكر بعده مع اعادة الجار والفعل المتعلق هو به لابرز كمال العناية به ويجوز ان يكون الاول عبارة رتبة العبادة التى هي فعل ما يرضى الله تعالى والثانى عبارة رتبة العبودية التى هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تنوق اليه من فعل أو ترك بل هو تلقى ما ورد منه عز وجل بالجليل والرضا به باطنا وظاهرا وقرأ سلام وهررون وابن موسى عن أبي عمرو والمصر بكسر الصاد والصبر بكسر الباء قال ابن عطية وهذا لا يجوز إلا في الوقف على نقل الحركة وروى عن أبي عمرو بالصبر بكسر الباء اشهما وهذا كما قال لا يكون أيضا الا في الوقف وقال صاحب اللوامح قرأ عيسى البصرة بالصبر بنقل حركة الراء الى الباء لثلاثا يحتاج الى أن يؤتى ببعض الحركة في الوقف ولا الى أن يسكن فيجمع بين ساكنين وذلك لغة شائمة وليست بشاذة بل مستفيضة وذلك دلالة على الاعراب وانفصال من التقاء الساكنين وتأدية حق الموقوف عليه من السكنون انتهى ومن هذا كما في البحر قوله

أنا جرير ككيتى أبو عمرو ❦ اضرب بالسيف وسعد في العصر (١)

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه كان يقرأ والمصر ونواب الدهر ان الانسان لفي خسر وانه لقيه الى آخر الدهر وأخرج عبد بن حميد وابن أبي داود في المصاحف عن ميمون بن مهران أنه قرأ والمصر ان الانسان لفي خسر وانه لقيه الى آخر الدهر الا الذين آمنوا الح وذكر أنها قراءة ابن مسعود هذا واستدل بعض المعتزلة بما في هذه السورة على ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار لانه لم يستثن فيها عن الخسر الا الذين آمنوا وعلوا الصالحات الح وأجيب عنه بانه لا دلالة في ذلك على أكثر من كون غير المستثنى في خسر وأما على كونه مخلد في النار فلا كيف والخسر عام فهو اما بالخلود ان مات كافرا وأما بالدخول في النار ان مات عاصيا ولم يفرده ما يفوت الدرجات العاليات ان غفر وهو جواب حسن وللشيخ المازيندى رحمه الله تعالى في النقصى عن ذلك تكلفات مذكورة في التأويلات فلا تغفل وفي السورة من التنبه الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان يحب المرء لآخيه ما يحب لنفسه مالا يخفى

سورة الهمزة

مكية وآيها تسع بلا خلاف في الامرين ولما ذكر سبحانه فيما قبلها أن الانسان سوى من استثنى في خسر بين عز وجل فيها أحوال بعض الخماسين فقال عز من قائل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ❦ وَيَلُكُلُ هَمَزًا لَمَزًا﴾ تقدم الكلام على اعراب مثل هذه الجملة والهمز الكسر كالهزم والممز الطين كالهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والغض منهم واعتياهم والطن فيهم وأصل ذلك كان استمارة لانه لا يتصور الكسر والطن الحقيقيان في الاجسام فصار حقيقة عرفية ذلك وبناء فملا يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة إلا للمعشر المتعود قل زياد الاعجم

إذا لقيتك عن شحط تكلمتني ❦ وان تعيبت كنت الهامز للهمزة

(١) قوله وسعد في النصر كذا في النسخ قبل الصاد عين مهملة اه

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وجماعة عن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال هو المشاء بالهمزة المفرق بين الجمع المفرد بين الاخوان وأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وغيرهما عن مجاهد الهمزة الطمان في الناس والهمزة الطمان في الانساب وأخرج عبد بن حميد عن أبي العالية الهمز في الوجه والهمز في الحلف وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن جريج الهمز بالعين والشدق واليد والهمز باللسان وقيل غير ذلك وما تقدم أجمع. وقرأ الباقر رضي الله تعالى عنه لسكك همزة لمزة بسكون الميم فيهما على البناء الشائع في معنى المفعول وهو السخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ويهز ويلعز وتزل ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن اسحق عن عثمان بن عمر في أبي بن خلف وعلى ما أخرج عن السدي في أبي بن عمر والنقفي الشهير بالاخنس بن شريق فإنه كان مغتابا كثير الوقعة وعلى ما قال ابن اسحق في أمية بن خلف الجحى وكان يهز النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويعيبه وعلى ما أخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد في جميل بن عامر وعلى ما قيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وغضه منه وعلى قول في العاص بن وائل ويجوز أن يكون نازلا في جميع من ذكر لكن استشكل نزولها في الاخنس بانه على ما صححه ابن حجر في الاصابة أسلم وكان من المؤلفنة قلوبهم فلا يتأتى الوعيد الا تاتي في حقه فاما ان لا يصح ذلك أو لا يصح اسلامه وأيضا استشكلت قراءة الباقر رضي الله تعالى عنه بناء على ما سمعت في معناها وكون الآية نازلة في الوليد بن المغيرة ونحوه من عطاء قريش وبه اندفع ما في التاويلات من أنه كيف عيب الكافر بهذين الفعلين مع ان فيه حالا أفصح منهما وهو الكفر وأما ما أجاب به من أن الكفر غير قبيح لنفسه بخلافهما فلا يخفى ضعفه لان فوت الاعتقاد الصحيح أفصح من كل شيء قبيح وقوله تعالى (الذي جمع مالا) بدل من كل بدل كل وقيل بدل بعض من كل وقال الجسار بردي يجوز أن يكون صفة له لانه معرفة على ما ذكره الزمخشري في قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اذ جعل جملة معها سائق حالا من كل نفس لذلك ولا يخفى ما فيه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا على النعم وتنكير مالا للتفخيم والتكثير وقد كان عند القائلين أنها نزلت في الاخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وجوز أن يكون للتحقير والتقليل باعتبار أنه عند الله تعالى أقل وأحقر شيء وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر والاخوان جمع بشد الميم للتكثير وهو أوفق بقوله تعالى (وَعَدَدَهُ) أي عدة مرة بعد أخرى حباله وشغفابه وقيل جملة أصنافا وأنواعا كمقار ومتاع ونقود حكاها في التاويلات وقال غير واحد أي جملة عدة ومدخر النوائب الدهر ومصائبه وقرأ الحسن والكلي وعدده بالتخفيف فقل معنى وعده فهو فعل ماض فك ادغامه على خلاف القياس كما في قوله

مهلا اعادل هل جربت من خلقي ❖ انى أجود لاقوام وان ضنونا

وقيل هو اسم بمعنى العدد المعروف معطوف على ماله أي جمع ماله وضبط عدده وأحصاء وليس ذلك على ما في الكشف من باب علقها تبنا وماه باردا لان جمع العدد عبارة عن ضبطه واحصائه فلا يحتاج الى تكلف وعلى الوجهين أي بالقرارة المذكورة المعنى الاول لقرارة الجمهور وقيل هو اسم بمعنى الاتباع والاضار يقال فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الاضار وما يصلحهم وهو معطوف على ماله أيضا أي جمع ماله وقومه الذين ينصرونه (يَحْسَبُ أَنْ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جملة جالية أو استثنائية وأخلده وخلده بمعنى أي تركه خالدا أي ما كنا مكنا لا يتناهي أو مكنا طويلا جدا والكلام من باب الاستعارة التمثيلية والمراد ان المال طول أمه ومناه الامانى البعيدة فهو يعمل من تشبيد البنيان وغرس الاشجار وكري

الانهار ونحو ذلك عمل من يظن انه ماله أبقاه حيا والاطهار في مقام الاضرار لزيادة التقرير والتعريف بالماضي للمبالغة في المعنى المراد وجوز أن يراد انه حاسب ذلك حقيقة لفرط غروره واشتغاله بالجمع والتكثار عما امامه من قوارع الآخرة أو لزعمه ان الحياة والسلامة عن الامراض والآفات تدور على مراعاة الاسباب الظاهرة وان المال هو المحور لكرتها والملك المطاع في مدينتها وقيل المراد انه يحسب المال من الخلدات ولا نظرفيه الى ان الخلود دنيوي او اخروي ذكرا أو عينا انما النظر في اثبات هذه الخاصة للمال والغرض منه التعريض بان ثم محمدا ينبغي للعاقل أن يكب عليه وهو السعي للآخرة وهو بعيد جدا ولذا لم يجعل بدض الاجلة التعريض وجها مستقلا وزعم عصام الدين أنه يحتمل أن يكون فاعل أخذ الحاسب ومفعوله المال أي يظن أن يحفظ ماله أبدا ولا يعرف أنه معرض للحوادث أو للمفارقة بالموت كما قيل بشر مال البخيل بحادث أو وارث وهو لعمرى مما لا عصام له ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل أو عنه وعن جمع المال وجه المفرط على ما قيل واستظهر أنه ردع عن الهمز واللامز وتمقب بأنه بعيد لفظا ومعنى وأنا لأرى بأسا في كون ذلك ردعا له عن كل ما تضمنته الجمل السابقة من الصفات القبيحة وقوله تعالى ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أي والله لي طرحن بسبب أفعاله المذكورة ﴿فِي الْحَطْمَةِ﴾ أي في النار التي من شأنها أن تحطم كل من يلقي فيها وبناء جملة لتنزيل الفعل لكونه طبيعيا منزلة المعتاد والحطم كسر الشيء كالهشم ثم استعمل لاسك كسر منناه وأنشدوا

انا حطمتنا بالقضيب مصعبا ✽ يوم كسرنا أنفه ليفضبا

ويقال رجل حطمة أي أ كول تشبهاه بالنار ولذا قيل في أ كول ✽ كما في جوفه تنور وهو فسر الضحاك الحطمة هنا بالدرك الرابع من النار وقال الكلبي هي الطبقة السادسة من جهنم وحكي القشيري عنه انها الدرك الثاني وقال الواحدي هي باب من أبواب جهنم وزعم أبو صالح انها النار التي في قبورهم وليس بشيء وقوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَطْمَةُ﴾ تهويل أمرها ببيان انها ليست من الامور التي تناولها عقول الخلق وقرأ على كرم الله تعالى وجهه والحسن بخلاف عنه وابن محيصن وحيد وهرون عن أبي عمرو لينبذان بضمير الاثنين العائد على الهمزة وماله وعن الحسن أيضا لينبذن بضم الذال وحذف ضمير الجمع فقيل هو راجع لاسك همزة باعتبار أنه متمدد وقيل له ولمدده أي اتباعه وانصاره بناء على ماسمعت في قرأته هناك وعن أبي عمرو لنبذنه بنون العظمة وهاء النصب ونون التأكيد وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنه في الحاطمة وما أدراك ما الحاطمة ﴿نَارُ اللَّهِ﴾ خبر مبتدا محذوف والجملة لبيان شان المسؤول عنها أي هي نار الله ﴿الْمُوقَدَةُ﴾ بامر الله عز وجل وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْافْتِدَةِ﴾ أي تطلو أو ساط القلوب وتشاها وتخصيها بالذكر لما أن الفؤاد الطاف ما في الجسد وأشدّه تاللا بداني أذى يمسه أو لانه محل العقائد الزائفة واثبات الحيينة والمملكات القبيحة ومنشأ الاعمال السيئة فهو أنسب بما تقدم من جميع أجزاء الجسد وأخرج عبد بن حميد وابن ابى حاتم عن محمد بن كعب انه قال في الآية تا كل كل شيء منه حتى تنتهي الى فؤاده فاذا بلغت فؤاده ابتداء خلقه وجوز أن يراد الاطلاع العلمي والكلام على سبيل المجاز وذلك أنه لما كان لكل من المعذبين عذاب من النار على قدر ذنبه المتولد من صفات قلبه قيل انها تطلع الافتدة التي هي مادن الذنوب فتعلم ما فيها فتجازي كلاب حسب ما فيه من الصفة المتقضية للعذاب ثم وارباب الاشارة يقولون ان

ما ذكر إشارة الى العذاب الروحاني الذي هو اشد العذاب (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ) أى مطبقة وتام الكلام مر في سورة البلد (فِي عَمَدٍ) جمع عمود كما قال الراغب والفراء وقال ابو عبيدة جمع عماد وفي البحر وهو اسم جمع الواحد عمود وقرأ الاخوان وابو بكر عمدا بضم العين وهرون عن أبي عمرو بضم العين وسكون الميم وهو في القراءتين جمع عمود بلاخلاف وقوله تعالى (مُمَدَّدَةٌ) صفة عمد في القراءات الثلاث أى طوال والجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المجرور في عليهم أى كائنين في عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر وهي خشب أو جذوع كبار فيها خروق يوضع فيها ارجل المحبوسين من اللصوص ونحوهم أو خبر لبيتدا محذوف أى هم كائنون في عمد موثقون فيها وهي والعماد بالله تعالى على ما روى عن ابن زيد عمد من حديد وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنها من نار واستظهر بعضهم ان العمدة تمدد على الابواب بعد أن تؤصد عليهم تأكيداً لياهم واستيقافي استيقافي وفي حديث طويل أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن أبي هريرة مرفوعاً أن الله تعالى بعد ان يخرج من النار عصاة المؤمنين وأطولهم مكثافياهم ان يمكث سبعة آلاف سنة يبعث عزوجاً الى أهل النار ملائكة يطابقون من نار ومسامير من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الاطباق ويشد بتلك المسامير وتمدد تلك العمدة ولا يبقى فيها خذل يدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وينسأهم الجبار عزوجل على عرشه وينسأغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها أبداً وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيراً وشهيقاً وفيه فذلك قوله تعالى انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة اللهم أجرنا من النار ياخير مستجار وعلى هذا يكون الجار والمجرور متعلقاً بمؤصدة حالاً من الضمير فيها كما قال صاحب الكشف وحكاة الطيبي وفي الارشاد عن أبي البقاء انه صفة لمؤصدة وقال بعض لامانع عليه أن يكون صلة مؤصدة على معنى أن الابواب أوصدت بالعمد وسدت بها وأيد بما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في الآية أدخلهم في عمد وتمددت عليهم في أعناقهم السلاسل فسدت بها الابواب ثم ان ما ذكر لاشماره بالخلود وأشدية العذاب يناسب كون المحدث عنهم كفاراً همزوا ولمزوا خير البشر صلى الله تعالى عليه وسلم وما تقدم من حمل العمدة على المقاطر قيل يناسب العموم لان الغتاب كانه سارق من اعراض الناس فيناسب أن يعذب بالمقاطر كاللصوص فلا يلزم الخلود وقد يقال من تأمل في هذه السورة ظهر له العجب العجيب من التناسب فانه لما بولغ في الوصف في قوله تعالى همزة لمزة قيل الحطمة للتبادل ولما أفاد ذلك كسر الاعراض قوبل بكسر الاضلاع المدلول عليه بالحطمة وحىء بالنبت المنهى عن الاستحقر في مقابلة ماظن الهامز اللامز بنفسه من الكرامة ولما كان منشأ جمع المال استيلاء حبه على القلب جىء في مقابله تطلع على الاقنعة ولما كان من شان جامع المال الحب له أن ياصد عليه قيل في مقابله انها عليهم مؤصدة ولما تضمن ذلك طول الامل قيل في عمد ممددة وقد صرح بذلك بعض الاجلة فليتأمل والله تعالى أعلم

سورة الفيل

مكية وأبها خمس بلا خلاف فيهما وكانه لما تضمن الهمز والهمز من الكفرة نوع كيدله عليه الصلاة والسلام عقب ذلك بقصة أصحاب الفيل للإشارة الى أن عقبي كيدهم في الدنيا تدميرهم فان عناية الله عز وجل برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى وأتم من عناية سبحانه باليب فالسورة مشيرة الى ما لهم في الدنيا اثر بيان ما لهم في الاخرى ويجوز ان تكون كالاستدلال على ما أشير اليه فيها قبلها من أن المال لا ينفى من الله تعالى شيئاً أو على قدرته عزوجل على انفاذ ما توعد به أولئك الكفرة في